المحور الرابع :المفهوم القانوني للتلوث

يعد التلوث من الأخطار الرئيسية والهامة التي تهدد البيئة، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، فمع تقدم المجتمعات بدأت تتزايد مصادر تلوث البيئة الملازمة مع تطور النشاط الصناعي والزراعي ...و غيرها، وباتت مكونات وموارد البيئة الحية وحتى غير الحية تعاني من سموم الأدخنة الغازات والمركبات السامة، ومن النفايات الخطرة والضوضاء والإشعاعات وغيرها، على نحو ينذر بقدوم كارثة حقيقية تهدد كل الكائنات الحية الموجودة على كوكب الأرض.

أولا :تعريف التلوث

التلوث مشكلة بيئية برزت بوضوح بمجيء عصر الثورة الصناعية، وقد حظيت بالدراسة والإهتمام لأن آثارها الضارة شملت الإنسان نفسه وممتلكاته، كما أخلت بالكثير من الأنظمة البيئية، فالتلوث يعتبر الوريث الذي حل محل المجاعات والأوبئة بحكم خطورته، وأذاه الذي أدّى إلى حالة تعرف "بالتمزق البيئي"، فطغى التلوث على كل القضايا البيئية حتى رسخ في أذهان الكثيرين أنه المشكلة الوحيدة، وفي مكافحته يستقيم الحال

فيعرف التلوث على "**أنه إحداث تغير في البيئة التي تحيط بالكائنات الحية بفعل الإنسان وأنشطته، مما يؤدّي إلى ظهور بعض الموارد التي لا تتلاءم مع المكان الذي يعيش فيه الكائن الحي، ويؤدّي إلى اختلاله.**"

يعرف كذلك التلوث بأنه" **كل تغير يطرأ على الصفات الفيزيقية أو الكيميائية أو البيولوجية لهذا المحيط مما يؤدي إلى إفسادها وجعلها خطرا على صحة الإنسان والحيوان وغالبا ما يكون النشاط الإنساني هو مصدر التلوث**"، وبالتالي فإن التلوث أحد المظاهر المتسببة في الإضرار بالبيئة الطبيعية مما ينعكس سلبا على صحة الأفراد.

تضمنت إحدى وثائق مؤتمر ستوكهولم تعريفا بسيطا للتلوث يقول" :تؤدي النشاطات الإنسانية بطريقة حتمية إلى إضافة مواد أو مصادر للطاقة إلى البيئة على نحو يتزايد يوما بعد يوم، وحينما تؤدي إضافة تلك المواد أو تلك الطاقة إلى تعريض صحة الإنسان ورفاهيته وموارده للخطر أو يحتمل أن تؤدي إلى ذلك مباشرة أو بطريقة غير مباشرة فإننا نكون بصدد تلوث".

أما المشرع الجزائري فقد عرف التلوث في المادة 04 من قانون 10/03 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة كما يلي: "**التلوث هو كل تغير مباشر أو غير مباشر للبيئة، يتسبب فيه كل فعل يحدث أو قد يحدث وضعية مضرة بالصحة وسلامة الإنسان والنبات والحيوان والهواء والجو والماء والأرض والممتلكات الجماعية والفردية**".

ثانيا:عناصر التلوث

- **التغيير الكيفي** : هو ادخال مواد ملوثة في الوسط البيئي، ويكون باضافة مركبات صناعية غريبة على الأنظمة البيئية الطبيعية فتتراكم في الماء والغذاء أو التربة، ومن أبرز هذه المواد مبيدات الأعشاب ومبيدات الأفاق الزراعية.
- **التغيير الكمي** : ويكون بزيادة نسبة من بعض المكونات الطبيعية للبيئة كزيادة ثاني أوكسيد الكربون عن نسبته المعتادة نتيجة الحرائق الهائلة التي ما تزال تطرأ من مناطق الغابات، أو زيادة درجة حرارة المياه في منطقة ما جراء ما تلقيه المصانع من مياه حارة.
- **التغيير المكاني** : قد يؤدي تغيير مكان المواد الموجودة في الطبيعة الى تلوث البيئة والحاق ضرر بها، فمثلا نقل بعض المواد المشعة والخطرة من مكان لآخر، فقد يترتب عليها أضرار بالبيئة كما هو الحال في حالة نقل النفط بالسفن والبواخر في عرض البحار والمحيطات، فقد يؤدي غرق بعضها الى كارثة بيئية وهي التلوث مياه البحر والحاق اضرار بالكائنات الحية.

ثالثا::أنواع التلوث

يقسم العلماء تلوث البيئة إلى عدة أنواع استنادا إلى معايير مختلفة، حيث يقسّم بالنظر إلى مصدره، كما يقسم استنادا إلى درجة التلوث وشدة تأثيره على البيئة، كما يقسم بالنظر إلى نوع البيئة التي يحدث فيها التلوث، وهو ما سنفصل فيه في الآتي:

1- أنواع التلوث من حيث مصدره

يقسم التلوث بالنظر إلى مصدره إلى نوعين :تلوث طبيعي وتلوث صناعي.

- **التلوث الطبيعي** :سمي كذلك لأن مصدره التغى ا رت الحاصلة في الطبيعة كالزلازل والبراكين والفيضانات والسيول والزوابع الرملية الدخان الناتج عن الح ا رئق وغيرها.
- **التلوث الصناعي** :ينتج التلوث الصناعي عن فعل الإنسان ونشاطه أثناء ممارسته لأوجه حياته المختلفة، وهذا التلوث يجد مصدره في أنشطة الإنسان الصناعية و الزراعية والخدماتية والترفيهية وغيرها، وفي استخداماته المت ا زيدة لمظاهر التقنية الحديثة ومبتكراتها المختلفة.

2- **أنواع التلوث بالنظر إلى نوع البيئة التي يحدث فيها:**تنقسم الأوساط البيئية القابلة بطبيعتها إلى التلوث إلى ثلاثة أقسام :هواء، ماء، تربة، وبناء عليه يقسم التلوث بالنظر إلى الوسط البيئي الذي يحدث فيه إلى ثلاثة أنواع :تلوث هوائي، تلوث المياه، تلوث التربة.

- **التلوث الهوائي :** (نصت عليه الفقرة 10 المادة 4 من قانون 03-10 المتعلق بحماية البيئة والتنمية المستدامة)

"**ادخال أية مادة في الهواء أو الجو بسبب انبعاث غازات أو أبخرة أو أدخنة أو جزئيات سائلة أو صلبة من شأنها التسبب في أضرار وأخطار على الإطار المعيشي**"

- **التلوث المائي** : (الفقرة 9 من المادة 4 من نفس القانون)

"**إدخال أية مادة في الوسط المائي من شأنها أن تغير الخصائص الفيزيائية أو الكيميائية و/أو البيولوجية للمادة وتسبب في مخاطر على صحة الانسان وتضر بالحيوانات أو النباتات البرية وتمس المواقع أو تعرقل أي استعمال طبيعي آخر للمياه.**

- **تلوث الأرض – تلوث التربة**

الناتجة عن يقصد بتلوث التربة إدخال أجسام غريبة في التربة، ينتج عنها تغّير في الخواص الكيميائية أو الفيزيائية أو البيولوجية، بحيث تؤثر على الكائنات الحية التي تستوطن في التربة، وتسهم في عملية التحلل للمواد العضوية التي تمنح التربة قيمتها وصحتها وقدرتها على الإنتاج.إن مصادر تلوث التربة عديدة ومتنوعة، وإن كانت النفايات أو الفضلات تعد من أهم هذه المصادر، لما لها من تأثير على الصحة العامة وعلى الاقتصاد الوطني، وتنتج هذه المخلفات عن الأنشطة الصناعية والزراعية والمنزلية، وهي تشمل القمامة والنفايات سواء كانت صلبة أو سائلة،عادية أو خطرة.

أشار المشرع إلى مسألة حماية التربة من التلوث في الباب الثالث من القانون رقم03 -10 على ضرورة ، المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة، حيث أكد بموجب المواد59 و69 على ضرورة حماية الأرض وباطن الأرض والثروات التي تحتوي عليها من كل أشكال التدهور أو التلوث

3- **أنواع التلوث من حيث آثاره على البيئة** ليست كل صور التلوث الموجودة في البيئة خطرة على النظام البيئي أو على صحة الإنسان أو سلامته، كما أنها في الوقت نفسه، ليست على نفس الدرجة من الخطورة والتأثير، حيث يمكن التمييز في هذا الشأن بين ثلاثة درجات للتلوث :تلوث مقبول ، تلوث خطير، تلوث مدمر

- **التلوث المقبول :**

وهو التلوث الأكثر انتشارا والذي لا تخلو منه اليوم منطقة في العالم وهو درجة من درجات التلوث التي لا يتأثر بها توازن النظام الايكولوجي ولا يكون مصحوبا بأية أخطار أو مشاكل بيئية رئيسية مثل الأكياس البلاستيكية

- **التلوث الخطير**

وهو نوع من التلوث تعاني منه الدول الصناعية وهو ناتج بالدرجة الأولى من النشاط الصناعي وزيادة النشاط التعديني والاعتماد بشكل كبير على الفحم والبترول كمصدر للطاقة وفي هذا المستوى من التلوث تكون كمية ونوعية الملوثات تتعدى الحد الايكولوجي الحرج والذي يبدأ معه التأثير السلبي على العناصر البيئية الطبيعية والبشرية.

- **التلوث المدمر**

وهي المرحلة الأكثر خطورة والتي ينهار فيها النظام الايكولوجي ويصبح غير قادر على العطاء لاختلال مستوى التوازن البيئي بشكل جذري ويعجز النظام البيئي عن إصلاح نفسه، ومن بين الأمثلة على هذا المستوى من التلوث حادثة تشرنوبيل ،حيث تعتبر كارثة تشرنوبيل هي حادثة نووية إشعاعية كارثية وقعت في المفاعل رقم 4 من محطة تشيرنوبل للطاقة النووية، في12 أفريل من عام 1986 ، قرب مدينة بريبيات في شمال أوكرانيا السوفيتية، وتعد أكبر كارثة نووية شهدها العالم .وقد خلفت هذه الكارثة العديد من الأضرار على صحة الإنسان والبيئة على حد سواء

يمكن القول أن التلوث البيئي يعتبر من القضايا البيئية الخطيرة التي أصبحت تهدد مسيرة الحياة، وهي مشكلة متنامية مع كل تطور ونمو عمراني وصناعي وما يزيدها حدة هو غياب الوعي البيئي المسؤول، وإن كانت تبدو أنها مشكلة محلية الحدوث، فإنها تعتبر في نفس الوقت مشكلة عالمية التأثير بالدرجة الأولى، فالملولثات البيئية لا تعرف حدودا سياسية تتوقف عندها إذ تتسم بقدرتها على الحركة المرنة والانتقال الحر من بيئة إلى أخرى على المدى القريب أو البعيد، مما يعطي لمشكلة التلوث صفة العالمية ويجعل منها السبب الرئيسي في تدهور البيئة.